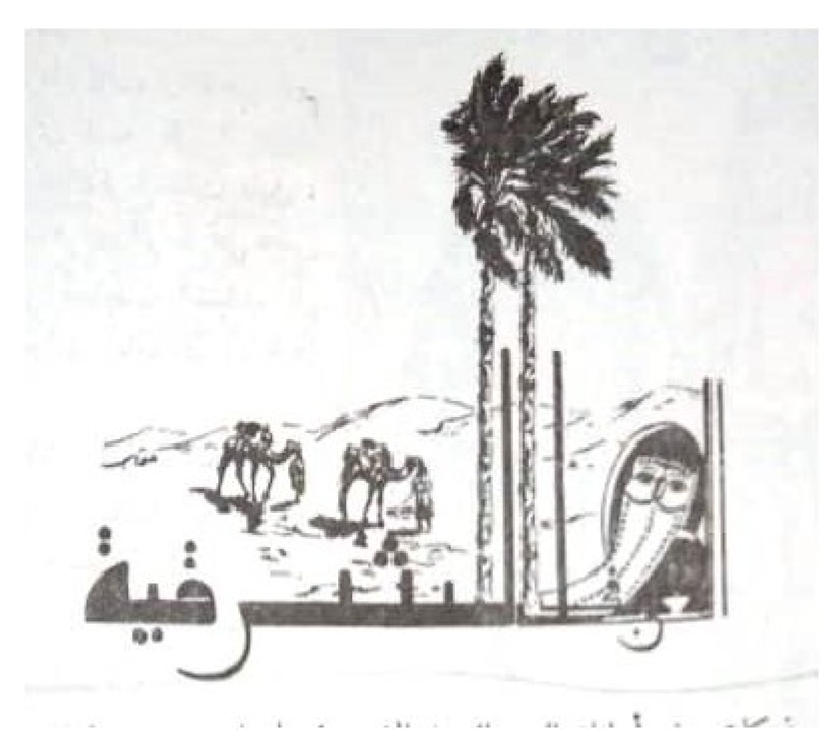
الشرقية



مقدمة

أقصد بالعرب فى كلمتى هذه أولئك البدو الرحل الذين وفدوا على مصر من شبه جزيرة العرب بعد فتح عمرو بن العاص لمصر فى فترات متفاوتة ثم استقروا فيها إلى الآن أو قطنوها مدة ورحلوا عنها ثم عادوا إليها ولكن معظمهم حافظوا على عروبتهم وأنسابهم وأحسابهم ولم يصاهروا أهل مصر، وفوق ذلك أثبتوا عروبتهم أمام لجان فحص العربان في سنتى ١٩١١-١٩١٠ وهى لجان شكلت من عمد القبائل ومن رؤساء مجالس القرعة وكانوا يثبتون اسم كل فرد وبصمة أصابعه ؛ وقد يسألون الكبار منهم عن أنسابهم وأحسابهم أو عن أعمال العرب الدقيقة ، فإن عجزوا سقطت عروبتهم .

وكان هؤلاء العربان سواقط قيد ثم جعلت لهم دفاتر خاصة لقيد مواليدهم ووفياتهم في البلاد والمديريات وذلك ابتداء من سنة ١٩٠٦ وقد أحصوا إحصاء تقريبا في سنة ١٩٠٤ ومع ذلك فمنهم من لم يزالوا منتشرين في الصحارى والمراعي والحدود الشرقية والشمالية لمديرية الشرقية، وهم رحل غير مستقرين ولا مقيدين .

وهذا لا يمنع من وجود قوم فى مصر أصلهم من شبه جزيرة

العرب ولكنهم لم يهتموا بإثبات عروبتهم أمام لجان فحص العربان المذكورة فضاعت وأصبحوا مقيدين كبقية المصريين.

حركات العرب :

في مدة فتح عمرو بن العاص لمصر كانت قناة السويس غير موجودة وكانت جل وسائل الرى غير متوفرة والقناطر والسدود والخزانات الموجودة الآن فى الشرقية غير مقامة وكان النيل يغمر البلاد مدة الفيضان فإذا انحسرت المياه بعد الفيضان تركت مستنقعات وأراضى مغطاة بالبردى والكلا والحشائش الصالحة لرعى الأغنام والماعز والإبل والخيل في معظم أراضى الشرقية وبخاصة الشمالية والمجاورة للصحراء منها، فشجع ذلك القبائل العربية بعد الفتح على الرحيل إليها لقربها من بلاد العرب وأخذوا يتنقلون في ربوعها طلبا للرزق ولم يجدوا فارقا ضحارى الشرقية ومراعيها ومناخها وبين صحارى بلادهم ومراعها ومناخها واستوطنوا وأخذوا يرعون ويتاجرون ويفلحون الأرض ويزرعونها وساعدهم على ذلك أن أغنامهم وماعزهم وإبلهم وخيلهم كانت تقطع الحشيش وتسمد الأرض فتجعلها صالحة للزرع ، ولذا كان من أقوالهم المأثورة عن الغنم (إن في جرتها سلاسل الذهب) يعنون أن الغنم تدر الخير بنتاجها وصوفها ولبنها ، وفوق ذلك تخصب الأرض فتصلح للزرع وإن كان في ذلك تضييق على رزقها وتتسع الأراضى الزراعية ، وإلى عهد قريب كان فلاحين يقدمون الأراضي المنزرعة بالبرسيم الأخضر والقطن بعد جنيه والقمح والفول والشعير بعد حصادها للأعراب أصحاب الأغنام والإبل فيرعونها بدون مقابل نظير تسميد الأرض – وبعد الفتح استوطن كثير من العرب فى الجهات الشرقية من مصر واستمروا بعد ذلك يفدون وينتقلون ويستوطنون حتى كانت أواخر أيام الدولة العباسية إذ سادت الفوضى أرجاء الدولة العربية وحل القحط بمصرفرحل بعض القبائل من الشرقية ومن مصر كلها إلى الغرب وبخاصة طرابلس ولما عاد الأمن والرخاء إلى مصر في عهد الفاطميين عاد بعض القبائل إلى مصر، ومنذ ذلك العهد يسمى العرب الذين لم يرحلوا إلى الغرب عرب الشرق والذين رحلوا وعادوا إلى مصر عرب الغرب ، ومن القبائل التى رحلت إلى الغرب وعادت وأصبحت من عرب الغرب قبيلة الهنادى ومنها الطحاوية وسمالوس التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى وادى سمالوس بلاد المغرب.

وبقيت الحال على ذلك حتى سنة 109 هجرية و (٧٢٨م) إذ أحضر ابن الحبحاب وهو أحد حكام مصر فى ذلك الوقت مائة بيت من قيس وأقطعهم أرضا في بلبيس وزودهم بالخيل

والإبل ثم ناط بهم حراسة القوافل بين ساحل البحر الأحمر وداخل البلاد وأفادوا من ذلك الربح الواسع مما جذب بيوتا أخرى من قيس لتلحق بهم حتى صاروا فى عام واحد ١٥٠ بينا في بلبيس وضواحيها ، وقد تحولوا بعد ذلك إلى قطاع للطرق وقاموابثورة لمقاومة زيادة الخراج ، وفي أواخر الدولة الفاطمية حوالى سنة ٩٧٥م قامت حرب بين بعض القبائل في الشرقية وغيرها وبخاصة بين قبيلتي طى وجذام .

وبعد سقوط الأمويين وقيام العباسيين كافأ السفاح العباسي حوالي سنة ١٣٥هـ بني هلال وسليم التي يرجع إليها نسب عرب الطحاوية وسمالوس بالشرقية بمنحهم منطقة بلبيس وذلك لانضمامهم إلى صفوفه ومحاربتهم تحت رايته ضد الأمويين في موقعة الزاب ، وقد اندمج بنو هلال وسليم بعضهما في بعض حتى كانت سنة ١٠٤٥م. بدأت قوة الفاطميين في الاضمحلال وثار عليهم المعز بن باديس زعيم بربر صنهاجة فأرسل الخليفة المستنصرسنة ١٠٤٩م إلى بني هلال وسليم ليمنحهم أرض المغرب، وكان غرضه من ذلك تخفيف وطأة القحط الذى
كان منتشراً في ذلك الوقت على المصريين بتقليل عددهم كما كان غرضه أيضا تأديب الثوار من المغاربة لخروجهم عن طاعته وشق عصا الطاعة ضده فهاجر كثير من العرب وبخاصة عرب الشرقية إلى شمال أفريقية وذهبوا كالجراد المنتشر تحت رئاسة بني هلال وهناك قاومهم ابن باديس ولكن مقاومته لم تفلح في طرابلس وتونس وتصاهروا مع القبائل البربرية وامتزجوا بهم على طول السنين وتحولوا على مر الأيام إلى ما يسميه الإفرنج
الآن المورز (Moors) ويعنون بهم المغاربة .

وقد ظهرت في هذه الحرب شخصية الزناتى خليفة والسفيرة عزيزة وأبي زيد الهلالي سلامة ذلك البطل المغوار وصاحب الأساطير المعروفة والأشعار الدارجة الشعبية والشهرة الذائعة بين عرب مصر والسودان حتى إنهم يتغنون بشجاعته وبطولته وخاصة على الرباب .

وبعد استقباب الأمن لقبيلتي هلال وسليم فى الغرب قامت بينهم منازعات كعادتهم فهزمت سليم بني هلال ولم تقم لهم قائمة إلى اليوم واندمجت البقية الباقية من بني هلال فى قبائل أخرى .

وفي عهد صلاح الدين الأيوبى كان لقبيلة جذام عدة إقطاعات منها هربيط وتل بسطة وغيرها، وكانت فاقوس وما حولها لهلبا سويد، ومع أن العرب كانوا ينظرون إليهم على أنهم

خليط من العرب وغيرهم ولايقدرونهم حق قدرهم إلا أن جماعة منهم أمروا بالبوق والقلم : أى أصبحت لهم الكلمة في الجيش والديوان .

ولما فتح صلاح الدين الشام انتقلت طائفة من قبيلة ثعلبة ونزلوا بالشرقية وكان فيهم رجال ذوو نباهة وصيت بعيد خدموا الدولة ومنهم من أمر بالبوق والقلم .

وفي عهد المماليك قام العرب في الشرقية وغيرها بثورات كثيرة وقتل منهم عدد كبير . ففي سنة ١٢٥٤م أيام سلطنة المعز أيبك التركماني أنف حصن الدولة وهو من كبار العرب قوادهم من سلطنة المماليك هذا إلى أن العرب كانوا موالين للأيوبيين فأشعلوا نيران الثورة على إثر مقتل توران شاه على يد المماليك بعدموقعة المنصورة ضد الفرنسيين ، فثار حصن الدولة هذا ومعه كثير من عرب الشرقية وغيرها فخرجت إليهم الأتراك وحاربوهم عند دهروط فانهزم العرب شر هزيمة وقتل منهم الرجال وأسرت النساء ، ومن وقتئذ تفرقت العربان وخمدت جمرتهم ، ثم إن حصن الدولة طلب الصلح والدخول تحت الطاعة فقبل منه المعزذلك ووعده بإقطاعات له ولرجاله على أن يكونوا من ضمن الجيش ويحاربوا معه ضد الأعداء فاغتر حصن الدولة ونهض برجاله إلى بلبيس فلما قرب من خيمة الملك ترجل عن فرسه فلم يلبث أن قبض عليه الجند هو ومن معه وكانوا ألف فارس وستمائة راجل و نصبت لهم المشانق ما بين بلبيس والقاهرة وصلبوا جميعا عدا الأمير الذي أرسل إلى الإسكندرية وسجن بها ، وأمر المعز أن يعامل العرب بالقسوة والشدة فذلت نفوسهم وضعفوا وخضدت شوكتهم ونقص عددهم كثيراً .

وسبب غدر المعز بالعرب يرجع إلى ظهور قوة ذات بأس فى بلاد العراق وهي قوة المغول (التتار) بقيادة هولاكو وكذلك قوة الصليبيين في بلاد الشام فوجود هاتين القوتين كان دافعا للمعز على الانتقام من العرب ليطمئن على ملكه في الداخل إذ عزم على الخروج لملاقاة
أعدائه فى الشام ولكنه مات قبل ذلك فتكفل بهذا العمل خلفه الملك " قطر " الذى هزم المغول فى موقعة عين جالوت سنة ١٢٦٠ م .

وفي عهد الحكم العثماني قام عرب الشرقية وغيرهم بثورات كثيرة تحت قيادة ابن بقر ، و
، وكثيراً ما كانوا يهربون إلى فلسطين والشام .

وفي عهد الحملة الفرنسية كان العربان يستفيدون من حمل المكاتبات السرية من أدهم بك زعيم المماليك إلى انصاره في القاهرة وذلك نظير أجور كبيرة، كما أنهم - وخاصة عرب الشرقية - كانوا عضدا لنابليون في حملته على الشام لأنهم قدموا له إبلهم فاستخدمها كوسيلة نقل هامة .

وفى عهد محمد على باشا كان عرب الشرقية خاصة والعرب عامة قد بلغوا من الجبروت والبأس غايتهما حتى كانوا يغيرون على أراضى الفلاحين ويفرضون الإتاوات على الأهالي وكان لا يجرؤ أحد على زيارة الأهرام إلا برضاهم وأمرهم وكانت القوافل التى تجتاز برزخ السويس تدفع لهم الضريبة الباهظة من المال فسلك معهم محمد على مسلك المهادئة أولا ثم عقد معهم الاتفاقات فهتكوا ستارها فعول على قمعهم بالقوة وتأديبهم فسيرإليهم المشاة والفرسان حتى اضطرهم إلى التماس الصلح واشترط أن يسكن كبار زعمائهم
وشيوخهم مدينة القاهرة كرهائن وأجرى عليهم الارزاق والمرتبات المعاشهم فهدأت ثأرتهم .

ولما غامر محمد على باشا بحرويه فى بلاد العرب ساهم عرب الشرقية وسينا في هذه الحملة بتصيب أكثر من غيرهم إذ قدموا له الخيل ودربوا له الجند على طريقة الكر والفر المعهودة فى الحروب عند الوهابين . وفى هذه الحملة وحملة السودان والشام عرض محمد على باشا على عرب الشرقية وغيرهم تشكيل فرق منهم واقترح أن يدفع لهم الأجور إزاء خدمتهم على شرط أن يأتى كل منهم بفرسه وبندقيته وكانت كل قبيلة ترسل عدداً من رجالها الأشداء تحت إمرة رئيس منهم يطلق عليه <u>الصارى</u> وكان بمثابة قائد لهم ، وكان محمد على باشا يجزل
لهم العطاء لما كان يلمس فيهم من شجاعة وإخلاص وتضحية وقد منحهم ما يسمى <u>امتياز العرب</u> ، وهو تعهد يعفى العرب من التجنيد الإجباري ومن حراسة جسور النيل ومن السخرة وحفر الترع وإقامة الجسور وذلك نظير وعد العرب بتقديم الجند عند الطلب بوساطة عمد القبائل . وقد ألفى هذا الامتياز بعد صدور القانون الجديد بالتجنيد الإجبارى فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٧ .

وقد منح محمد على باشا العرب أراضي زراعية سميت إنعامات وذلك بدون ثمن نظير دفع ضريبة (أكياس) من النقود أو قدر من المحصولات الزراعية، وقد طلب إلى عرب المشارقة حراسة حدود مصر.

وقد أفادت هذه الفرق الجيش من الوجهة العسكرية فكانت

عليهم مهمة استطلاع العدو ومطاردته في أثناء الهزيمة وعند التقهقر وهم الذين أسروا رشيد باشا في موقعة قونية .

وكان العرب في عهد محمد على باشا يخفرون الدروب وطرق القوافل ويحملون البريد والمعدات ، وكانوا خبراء في معرفة الطرق والمسالك والدروب .

وقد ساعدوا محمد على باشا مساعدة كبيرة في حرب الوهابيين والسودان واليونان والشام ولازال أحفادعرب الشرقية يذكرون ما سمعوه من أجدادهم من أنهم حجوا بيت الله الحرام في حرب الوهابيين (وطيبوا أي فتحوا) عكا في حرب الشام وأن بعضهم قضى مالا يقل عن عشر سنوات في جنوب الوادي في حرب السودان وتزوجوا من السودانيات وأنجبوا خلفا ، ومن هؤلاء الأجداد عامر ويونس وكريم ومجلى من الطحاوية والحاج عبد الله محمد من عائلة جمعة من سمالوس.

ولما أتى عباس باشا الأول غضب على بعض القبائل في الشرقية فأدى ذلك إلى ارتحال هذه القبائل إلى الشام وأعطيت أملاكهم في الشرقية إلى أعدائهم من العرب نكاية بهم، ولكنهم عادوا إلى أملاكهم ثانية في عهد سعيد باشا، وفي أثناء وجودهم في الشام عين مجلى سليمان الطحاوي قائدا في الجيش العثماني .

ولما ظهرت العملية والسخرة فى حفر الترع وإقامة الجسور ومد السكك الحديدية ، ولما كان العرب لم يألفوا هذه الأعمال ولم يألفوا الشدة والضيم ترك بعضهم ديارهم وأملاكهم وهربوا إلى جهات مختلفة في مصرأو في غيرها خشية ألا يراعى امتيازهم ويساقوا ضمن المصريين.

وعند ماقامت ثورة عرابي باشا (هوجة عرابى) اندفع العرب بسليقتهم وميلهم للحرب وانضموا إلى جانب الثوار وقاتلوا فى كفر الدوار وعند القنال والتل الكبير .

وهناك رواية كاذبة متعلقة بعرب الشرقية انتشرت كنتيجة لهزيمة عرابي في التل الكبير ، وهى أن بعض العرب ممن كانوا حرسا على الجيش ليلا ارتشوا من الانجليز وأخلوا لهم الطريق ، ولكن لم يقم على هذه الإشاعة دليل رسمي كما كذبها كثير ممن عاصروا تلك الثورة، وكذلك لم يظهر أثر للرشوة على العرب مما حدا بمروجي هذه الاشاعة إلى القول بأن الانجليز غشوا العرب بأن أعطوهم أكياسا في أعلاها قطع ذهبية، وفى داخلها قطع نقود من البرنز. ومما يدل على أنهم

كانوا مندمجين فى الجيش ولم يكلفوا بالحراسة بل كانت الحراسة
متروكة لغيرهم أمثال على خنفس الخائن المعروف أن غالب الطحاوى بك ، وكان في ذلك الوقت عمدة عموم قبيلة الهنادي ، وكان قائداً على قوة عرب الشرقية ضمن جيش عرابى ، وجرح في موقعة القصاصين ؛ كما أن أخاه مجلى الذي حل محله في قيادة الصارى جرح في موقعة التل الكبير.

وقد اقتنع بعض عرب الشرقية بالمنشور الذى أصدره الخديوى معلنا عصيان عرابي باشا وأتباعه وانحازوا إلى جانب الخديوى كما فعل بعض كبار المصريين ، ولكنهم لم يخونوا عرابي باشا لأن الغدر والخيانة ليست من شيم العرب .

وحين اعتزمت الحكومتان المصرية والانجليزية استرجاع السودان نظم العرب في الشرقية وغيرها فرقا لمساعدة الحملة ، وكان عبد الجليل غالب الطحاوي صاريا في هذه الحملة .
وفى الأيام الأخيرة قبل أن تتعهد الحكومة المصرية بخفارة المحمل ذهابا وإيابا كان عرب الشرقية والقليوبية بالتناوب يقدمون الإبل للمحمل .

<u>عرب الشرقية والثورة المارسية سنة ١٩١٩ :</u>

كان لعرب الشرقية فى هذه الثورة أثر يذكر، إذ اجتمع في مارس سنة 1919 م عدد كبير منهم في ناديهم المحبب إليهم وإلى آبائهم ألا وهو القمة من هاتيك الصحراء المتسمة الأرجاء والواقعة الآن بمركز أبو حماد .

اجتمعوا لا ليسمروا ولكن ليستمعوا إلى شاب منهم كان يدرس العلم بالأزهر الشريف ، وهو الطالب محمد سلطان ابن شيخ العرب محمود أبو القاسم سلطان عمدة القبيلة، فما إن بدأ خطيبهم الشاب يقص عليهم بعض نوايا الإنجليز وما هو صائر وقتها في البلاد حتى هاجهم ما سمعوا وقاموا لساعتهم قاصدين السكة الحديدية طريق القاهرة بور سعيد ، وكان عددهم حوالى الخمسة آلاف بين شيوخ وشبان ، وكان بينهم شيخ ضريرمازال على قيد الحياة ، وهو من قبيلة الجوازى واسمه عبد الله خالد صالح ، وقد طلب من هذا الشيخ أن يستريح ويريح فرفض ، وقال : إن كنت ضريرا فإن لى سواعد وأكتافا تستطيع أن تؤدى ماتؤدون ، ورافق القوم في هجمتهم هذه والهجمات التى تلتها . هنا أيها القراء تتزاحم الأفكار في تصوير حب الجهاد وخالص الفداء ، ولكن ليس هذا

وقته ولأعد بالقراء إلى ما أذكره عن الهجمة الأولى إذ وصلت الآلاف إلى السكة الحديدية لقطع تموين القوات البريطانية فى القاهرة وعزل هذه القوات عن بعضها ، وكان قد تقررأسر عمال الدريسة والاستيلاء على مافى مخازنهم من مفاتيح وآلات ، وابتدأت الهجمة يقودها الطالب الأزهرى وقطع العرب ومعهم الشيخ الضرير مسافات طويلة من السكة الحديدية ، وأتلفوا أسلاك التليفون والتلغراف وأعمدتها وذلك بين التل الكبير وأبو حماد. وفى أثناء العمل قدم قطار تموين (بضاعة) يسيرولا يدرى ما أحدثه العرب فى الطريق فهوت القاطرة ومن ورائها عربات كثيرة في أرض منخفضة وعف العرب ، وفيهم الكثير من الفقراء عن أن تمتد أيديهم إلى الخيرات التي ملأت الأرض من محتويات هذا القطار وقالوا يومها إننا ماجتنا لنسرق أو لنهب ، ولكننا جئنا لنعطل الطرق ولنسمع الرأى العام المتمدن ما نقوم به ولا نريد أن نشوه حركتنا .

جن جنون السلطات البريطانية خصوصا، وقد قيل وقتها إن للسلطات المصرية يدا فيما يحدث من تخريب فتكفلت القوات البريطانية بالحراسة. ولكن هذا غير مانع للعرب مما أصروا عليه ، فاجتمعوا في الصحراء وهجموا هجمتهم الثانية على الطريق من أبو حماد إلى أبو الأخضر يقودهم الطالب الأزهرى بعد أن أعد قوة من العرب لمنازلة الإنجليز وأعد الآخرين لقطع السكة الحديدية وإتلاف التليفونات والتلغرافات .
وابتدأت القوة عملها وابتدأت قوة الحراسة الانجليزية تهاجمها فتردها القوة العربية المدافعة إلى أن قتل من الانجليز أربعة وجرح عدد كبير كما جرح من العرب كثيرون بجراح خفيفة إلا أن القائد الشاب كانت جراحه خطيرة فسقط في الميدان ، وقبض عليه من بقى من القوة الإنجليزية ، وبعد أن شفيت جراحه قدم للمحاكمة العسكرية فحكمت عليه بالإعدام ، وبعد أن مكث إثنا وعشرين يوما ينتظر تنفيذ الحكم. صدر الأمر بتعديل الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، وبقى في سجنه إلى أن صدر العفو عن المسجونين السياسيين في ١١ فبراير سنة ١٩٢٤م

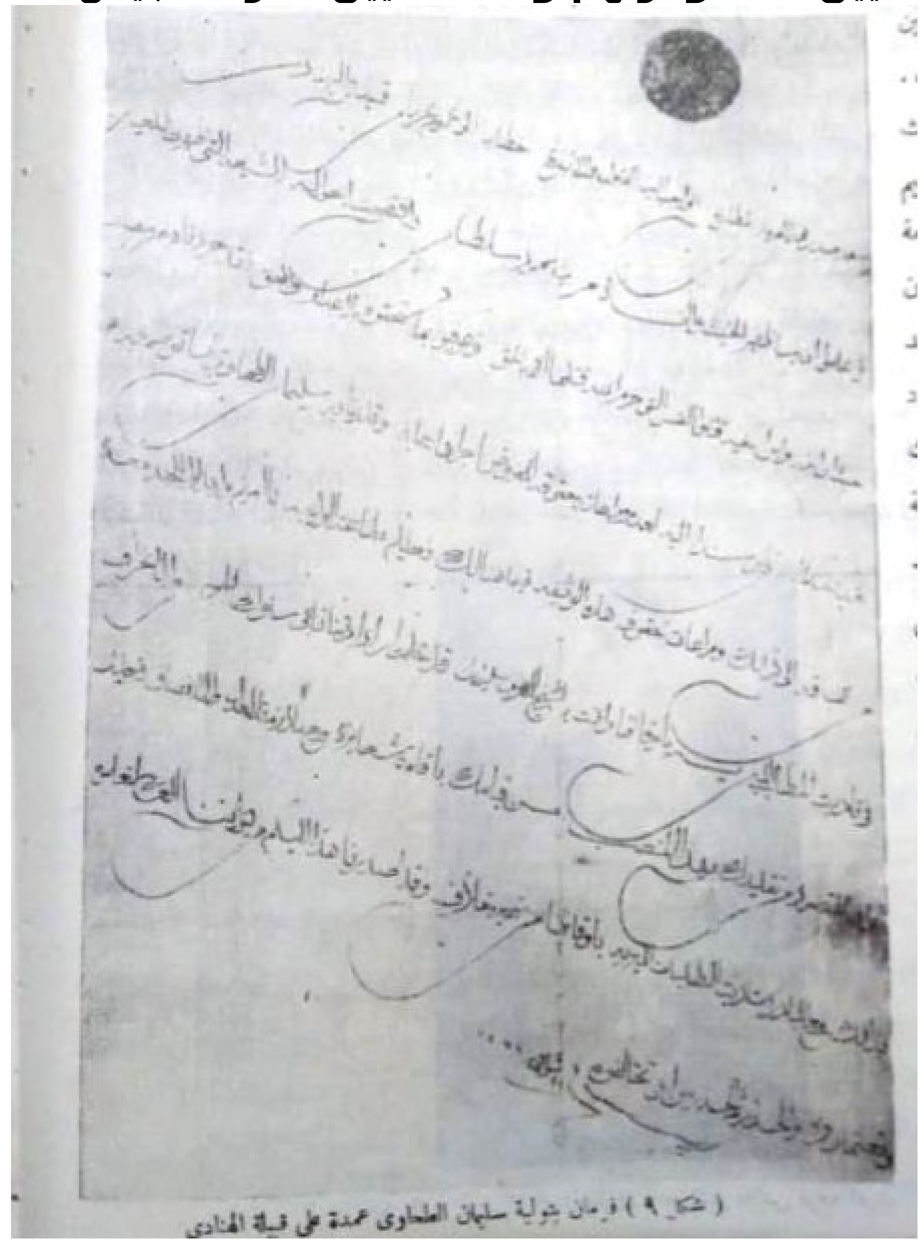


شكل (٨) الحاج محمد محمود سلطان وهو يلبس ملابس عرب الغرب

قبائلهم في الشرقية :

ومن أشهر قبائل العرب في الشرقية الهنادى، وهى تتفرع إلى بيوت منها الطحاوية وهم منتشرون في المديرية ومن عمدهم محمد بك سعود والحاج عبد الحميد راجح و وبيت سمالوس ومن عمدهم الشيخ جوده خليفة غيث والبهجة بجهة فاقوس ومن عمدتهم الشيخ محمد صميدة والشيخ عبد المطلب جايل، والفواخر وعمدتها الشيخ عبد السلام رشوان، والأفراد بجهة ههيا وعدتهم أبو زيدان، وأسلم بجهة كفر صقر وعمدتهم الشيخ حسين عبد السميع ، والنفيعات ومن عمدهم الشيخ إبراهيم أبو صالح وأبونصر الله ، والطميلات وعمدتهم أبو بغدادي والبياضيين وعمدتهم أبو مرزوق . وهذه القبائل الثلاث من المشارقة ، وهتيم وعمدتهم الحاج سلامة شاهين ، والسعديون وعمدتهم الشيخ عبدالحميد شلبي، وأولاد موسى و عمدتهم محمد بك بدران ، والأخارسة وعمدتهم الشيخ عبدالسلام عطوان ، وبلى والضعفا، والعيايدة والسماعنة ، والصوالح والحرابي .

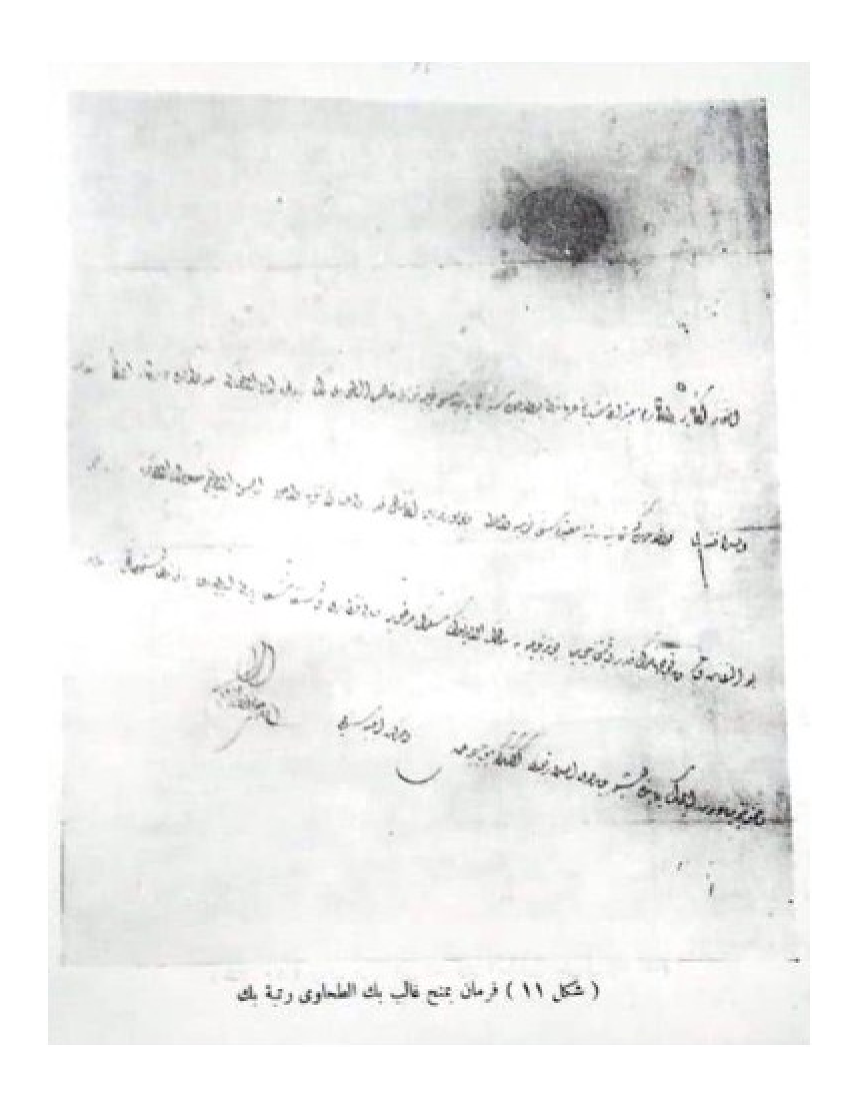
وكان تعيين العمدوعزلهم وكذلك تعيين صارى الجيش



(شكل ٩) فرمان بتولية سليمان الطحاوى عمدة على قبيلة الهنادى

بفرمان .

(شكل ١٠) فرمان بتولية مجلى الطحاوى قائدا فى الجيش فى إيالة الشام



(شكل ١١) فرمان بمنح غالب بك الطحاوى رتبة بك

عددهم :

يبلغ عدد عرب الشرقية بحسب تعداد سنة ١٩٣٧ نحو ٩٣١٩ ومحافظة القتال ٣٠٨ ومحافظة سينا ٢٢٩ ، وهذا بخلاف العرب الرجل البالغ عددهم ١٢٠٠٠ نفس، ويبلغ عدد العرب في القطر المصرى بحسب تعداد سنة ١٩٢٧ م نحو ٧٧٦٨٦ ، ولكن عددهم في الشرقية وفي مصر أكثر من ذلك بكثير .

معيشتهم :

في أول قدوم العرب إلى الشرقية كانوا يعيشون على رعى الغنم والماعز والإبل والخيل والمتاجرة في نتاجها وأوبارها، وكانوا قوما رحلا يتنقلون من مكان إلى مكان طلبا للكلا والمسرح ، وكانت طبيعة البلاد حينئذ أكثر مساعد لهم على ذلك كما ذكرت ، وكانوا يسكنون فى خيام يطلقون عليها (بيوت الشعر) وهذه تكبر و تصغر بحسب طاقة كل أسرة وهم بارعون وسريعون في نصبها ، وكان شبان كل بيت يرعون

الأغنام والماشية ويساعدهم العبيد وبعض النسوة المسترجلات الكبيرات السن . وأما باقى النساء والبنات فيبقين في مقر الأسرة يغز لن الصوف وينسجن منه الخيام والفرش والغطاء والملبس ويصبغنها بأصباغ ثابتة مختلفة الألوان ، وكانوا يصنعون هذه الأصباغ بأيديهن بطريقتهن الخاصة التي تتوقف على مادة تسمى " الدويده" وكان الرعاة يقومون بغزل الصوف بالمغزل فى أثناء قيامهم بالرعى، وكلهم ذو براعة فى هذه الأعمال، وكانوا إلى عهد قريب موضع إعجاب في هذه الصناعات الجودة صناعتها وجمالها وثبات ألوانها غير أن الحضارة قضت على هذه الحرف الآن ولم يبق لها من أثر سوى قطع من البسط (الأكلمة) التى نراها تباع الآن فى الشوارع ويقوم بصنعها بعض الأعراب الذين يسكنون أطراف المديرية ، وكان على النساء المقيمات في موطن الأسرة أن يعددن الطعام ويطحن الحبوب على الرحى أو الطاحونة .

أما كبار الأسرة فعليهم تدبير شئونها والبحث عن أماكن الكلا. وكان يكون من بعض هؤلاء الكبار مجلس يسمى (المجلس العرفى) يقضى فى الخلافات التى تنشب بين أفراد القبيلة الواحدة أو بينهم وبين القبائل المختلفة ، وقد أتى على هذه المجالس حين من الدهر كان معترفا بها من الحكومة .

ومنذ عهد محمد على باشا أخذ الاهتمام بوسائل الرى يزداد وزادت معه مساحة الأراضي المنزرعة وضاقت أراضى المراعى فرحل كثير من عرب الشرقية إلى أطراف المديرية شمالا وشرقا وجنوبا ولا يزالون حتى الآن يعيشون عيشة البداوة ومعظمهم من قبائل المشارفة والبياضيين وهتيم والمعازة وهم لا يخالطون الأهالى إلا قليلا وذلك في الأسواق عند ما يذهبون لشراء ما يحتاجون إليه من الحبوب والملابس أو في الصيف عند ما تجدب الأرض فينزحون إلى الريف حيث يحدون المراعى وبقايا القمح والفول والشعير والبرسيم التي حصدت فيضربون خيامهم في أقرب مكان للرعى، وقد ينزحون إلى الريف في الربيع لشراء البرسيم الأخضر مرعى الماشيتهم .

وأما بقية عرب الشرقية فقد أصبحت معيشتهم خليطا بين البداوة والحضر ، إذ يزرعون بعض الأرض ويبنون المساكن مع محافظتهم على خيامهم وأغنامهم وماعزهم وإبلهم وخيلهم يسرحونها إلى أماكن الكلا وتعود من حين لآخر لترعى الحشائش والبرسيم وبقايا القمح والشعير والبرسيم والفول المحصود وأوراق القطن في أراضيهم الزراعية ، وعلى توالى الأيام وتقدم وسائل الرى اهتم العرب بالزراعة وأهملوا تربية

الأغنام والحيوان وأصبحوا متحضرين وبعضهم يعتبر من أمهر الزراع وقد احتفظوا بقليل من الأغنام والماعز والخيل التي يكفيها البرسيم وأوراق القطن وبعض الأعشاب في الأراضى الزراعية .

عاداتهم :

من عادات العرب فى الشرقية الكرم حتى يكلف أحدهم نفسه ما لا يطبق ليكرم ضيفه ، والأخذ بالثأر والاعتداد بالنفس والكبر وحب السيطرة وحب الظهور، وأن يحترم صغيرهم كبيرهم حتى إنه لا يشرب القهوة ولا يدخن ولا يمزح في مجلسه، واستمروا إلى عهد قريب جدا لا يخالطون بقية المصريين ولا يصاهرونهم ويحتقرونهم ويسمونهم ، الفلاحين، وكثيراً ما كانت تقوم بينهم المناوشات ولكن الآن قد بدءوا يتزوجون من بناتهم ولكنهم لا يزوجون بناتهم منهم وكانوا يتفاخرون بكثرة العبيد حتى إنه على الرغم من صدور قانون منع الرق فإنه لا يزال لديهم عدد وافر منهم وسبب ذلك أن العبيد ألفوا حياتهم ولم يقبلوا مفارقتهم ، ومنذ عهد قريب كانوا يكرهون التعليم ويحتقرون من يذهب إلى المدارس ولكنهم الآن بدأوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس، ويوجد عدد كبير منهم في مصالح الحكومة والمهن الحرة كالطب والمحاماة وقد أظهر بعضهم نبوغا ونباهة، وهم لا يحبون الاشتغال بالصناعة أو التجارة.

وأما عن تعليم البنت : فهم لا يزالون ضد فكرته وهم شديدو المراس، ولا يخضعون للقوانين بسهولة وعندهم عناد، ويميلون إلى تسمية أبنائهم بأسماء مخيفة أو مريرة أو ثقيلة على السمع مثل ، حنظل ، وغومة ،وفدغم ، وضرغام ، ومتعب ومناع ، ويسمون عبيدهم وبناتهم أسماء مبشرة أو مفرحة أو خفيفة على السمع مثل فرج وسعيد وسعد ومصباح وسعدة وعزيزة وغالية ، وذلك لأنهم يعتقدون أن الاسم تأثيراً في أذن السامع وفي إيحائه، ففي جانب الرجل يخيف الاسم عدوه وفى ناحية العبد و المرأة يطمئن الاسم السامع ويشرح صدره وفي ذلك يقولون :

أسماؤنا لأعدائنا   وأسماء عبيدنا لنا

و يحفظ كثير منهم وصفات طبية عربية مفيدة، ولهم ثقة فائقة في الكى والخزام ولهما عندهم فن يجيده بعضهم وكثيراً ما أبرأ الكي والحزام ، ووصفاتهم العربية مرضى استعصى علاجهم على الأطباء ، ونساء عرب المشارقة محجبات ولا يخالطن الرجال إلا لضرورة العمل : وأما نساء

عرب الغرب فسافرات ويخالط الكبار منهن الرجال بعد الزواج.

زيهم :

وزى العرب فى الشرقية على أنواع كثيرة فرجال المشارقة يلبسون الطاقية الصوف أو الوبر (والكوفية) والعقال ونساؤهم يلبسن نقابا محلى بقطع من الذهب أو الفضة ، وعرب الغرب يلبسون الطربوش المغربي الذي لا يعتمون عليه، وبعضهم يلبس العمامة والشملة « الحرام، والبعض يليس العقال والطاقية ، والكوفية كعرب الشرق.

وكانوا إلى عهد قريب يلبسون جلاليب من الصوف من غزل ونسج وصبغ أيديهم ، ويغلب على جميع رجال العرب لبس العيادة . ونساء عرب الغرب سافرات. ويتميز كل نساء العرب بلبس حزام عريض أحمرأو أبيض في وسطهن ، ويلبس الحلى من الذهب أو الفضة في أنوفهن ، الشناف ، وآذانهن وأصابعهن ومعاصمهن ، الدعلج ، وأرجلهن ، الخلخال ، ونحورهن . وكلما كانت الحلى كبيرة وثقيلة كلما دل ذلك على ثراء لابسته ولو أدى ذلك إلى تشويه آذانهن وأنوفهن . ويتخذن الوشم الأخضر على الشفة السفلى والذقن وظهر اليدين للزينة .



(شكل ١٢ أعرابية من عرب الغرب)



(شكل ١٣ أعرابية من عرب الشرقية)

لغتهم :

ولغة عرب الشرقية عربية محرفة ، وتختلف في جهة عن الأخرى فمثلا و يا ولد بدل يا ولد و يا بنت بدل يا بنت والجمل بدل الجمل وهاضيش بدل ما هذا والغلا بدل الحب وغادي بدل هناك وإقهوى بدل قهوة .

نظام المقاضاة عندهم :

ولعل أحسن العادات عندهم هو نظام المقاضاة ، والقضايا نوعان : نوع خفيف، وفي هذه الحالة يذهب الطرفان إلى قاض من قضاة العرب وهم أشخاص مشهور عنهم الاستقامة

والصدق والعدل وقوة الحجة. وعادة لا تخلو كل قبيلة من عدد من الرجال تتوافر فيهم هذه الصفات ويرضى الطرفان بحكم القاضى وينفذونه في الحال أو بعد مدة وجيزة يحددها القاضي. أما النوع الثاني وهو المهم إذا كانت الخصومة شديدة لسبب من الأسباب
فيذهب الطرفان المتخاصمان إلى رجل محترم من أفراد القبيلة ويجتمع الطرفان في منزله ويسمى صاحب المنزل في هذه الحالة (ملم) أى جامع الأخصام فى منزله ، وهذا الرجل عليه أن يختار ثلاثة قضاة من رجال العرب ويعرض الأسماء الثلاثة على المتخاصمين وعلى الطرف الأول أن يختار أثنين من الثلاثة (ويعدف) الثالث أى لا يقبله وعلى الطرف الثاني أن (يعدف) قاضيا من الاثنين فيكون الطرفان قد قبلا التحكيم إلى قاض واحد ثم يذهب الطرفان إلى هذا القاضى فى موعد محدد وأول ما يفعله القاضي أن يحدد مبلغا من المال يتراوح
بين جنيهين أو خمسة أو عشرة يدفعها كل طرف من طرفي الخصومة ويسمى هذا المبلغ ، "الرزقة " وهذا المبلغ يظل عند القاضى حتى ينتهى الفصل في الدعوى فيأخذ القاضى مبلغ المحكوم عليه ، أما الآخر فإن مبلغه يرد إليه . وهذه الرزقة يأخذها القاضى نظير ماصرف من مأكل ومشرب وغيرهما ، وفي كثير من الأحيان يرفض القاضى هذه الرزقة إذا كان موسرا ، وبعد أن يقدم كل من طرفى الخصومة (الرزقة) يطلب القاضى من كل منهما ضامنا ويسمى عند العرب ، الكفيل ، وهذا الكفيل يقوم بكل ما يتأخر فيه صاحبه . وفي يوم الجلسة
يطلب القاضي من كل من طرفي الخصومة أن يختار شخصا ليدلى بحجته أمام القاضي وبعد سماع المرافعة وحجج كل فريق يصدر القاضي حكمه ، فإن قبل الطرفان هذا الحكم نفذ في الحال أو في مدى مدة يحددها القاضي وإذا لم يقبل أحد الطرفين هذا الحكم تحال القضية على القاضى الثالث وفى هذه الحالة ينفذ الحكم الذي وافق عليه اثنان . وهذا مجمل وجيز لنظام القضاء عند عرب | المشارقة .

وهناك حكم فصل للقضايا المهمة التى لا يوجد فيها أدلة ، ألا وهى (البشعة) وهي عبارة عن آنية من معدن كالنحاس أو الحديد لها يد طويلة تبلغ حوالى ٦٠ سنتيمترا وقطرها يبلغ حوالى ٢٠ سنتيمترا وصاحبها رجل يسمى (جربيع) من عرب المشارقة بجهة بلبيس. والطريقة أن يذهب إلى جربيع هذا كل من المتهم والمتهم ويدفع المتهم خمسة جنيهات لجربيع الذى يضع كومة من الخشب ويشعل فيها النار ويحمى فيها

(البشعة) حتى تحمر تماما ، وفى أثناء ذلك ينصح المتهم أن يصدقه القول ويعترف فإذا لم يعترف وأصر على لحس البشعة كشف جربيع على فمه ولسانه وأخرج البشعة من النار ومسحها بيده وقدمها للمتهم ليلحسها بلسانه وهم يعتقدون أنه إذا كان برينا فإنه لا يصاب بسوء، أما إذا كان مذنبا فإنها تضره ضرراً بليغا، ولا أدرى ما السر في هذه الآنية اللهم إلا إذا كان الاضطراب والرعب يجفف الريق فى حالة الشخص المذنب فتكون النتيجة أنها تضره بمجرد لحسها فى حين أن الاطمئنان والهدوء فى حالة الشخص البرى. يجعله يقدم عليها وهو مطمئن القلب فلا تصيبه بسوء . وكثيرا ما دفعت هذه البشعة بعض المذنبين إلى الاعتراف وكثيرا ما كانت سببا في حقن الدماء ، وعادة لا يلجأ إلى البشعة إلا في الأمور الهامة كالقتل والأخذ بالثأر وجربيع هذا (لا يبشع) الفلاحين مطلقا ولا يشع عرب الغرب إلا نادرا .

و نظام التقاضى عند عرب الغرب يختلف قليلا عنه عند عرب الشرق وذلك أنه عند حدوث أية خصومة يعقد ما يسمى (المجلس العرفى) وهو يشكل من قاضيين أو أربعة يختار كل طرف النصف من بين الرجال المعروف عنهم العدل والفراسة وحصافة الرأى ويشتهرون بأنهم (قضاة العرب) ثم يجتمع القضاة في مقرالأسرة أو القبيلة التى حدث فيها النزاع ، وقد يجتمعون عند رجل محايد ويطلب القضاة من كل طرف أن يقدم كفيلا ثم يجتمعون ويقررون ما يسمى (حق عرب) يدفعه كل كأمانة تحت يد القضاة ، وهو عبارة عن مبلغ من المال يكبر ويصغر بحسب أهمية النزاع فقد يكون خمسة جنيهات أو عشرة وقد يكون مائة أو مائتين ثم يدلى كل طرف بحجته ثم يجتمع القضاة ويصدرون حكمهم فمن كان مذنبا ضاع مبلغه وأعطى للآخر كما ترد للبرئ أمانته . وقد يتنازل صاحب الحق عن حقه فتصفو القلوب وتزول الأحقاد وكثيرا ما تعترف الحكومة بأحكام المجالس العرفية .

رياضتهم ووسائل تسليتهم وألعابهم

إنهم يهوون اقتناء الخيل، وهم مهرة في تربيتها وتدريبها وركوبها ويعتقدون أن الخير معقود بنواصيها ويعرفون بيوتها وأنسابها وأحسابها : ومن أشهر بيوتها بيت العبية والصقلاوية ، ويدربونها على جميع الفروسية من كر وفر ورقص على المزمار والطبل وركوع ونوم وغيرها ، ويحبون الرماية والصيد والقنص إذ يخرج بعضهم في الربيع والخريف على ظهور جيادهم وهجنهم ومعهم كلاب الصيد (السلوقي) والصقوروالشواهين والعبيد والأدلاء والزاد والخيام إلى أطراف المديرية وإلى طور سينا وفلسطين وساحل البحر

الأحمر لصيد الحيوان كالغزال والبدن والأرنب البرى أو الطيور كالحبارى والسمان والقطا والحجل والخضارى
والبلبول وأبو فروة. ويحطون رحالهم في أحد الأودية كوادى الجفرة أو وادى الوطن ويخرجون من هذا المكان للصيد والقنص . وطريقتهم في ذلك أن الصياد يتبع أثر الصيد ويطارده ، فإن كان غزالا أطلق في أثره صقرين أو ثلاثة بعد رفع الغطاء عن عيونها وتوجيهها نحوه ، وإن كان أرنبا اكتفى بصقر واحد وإن كان بدنا لا تطلق الصقور في أثره لأنها تخشى قرونه الطويلة ، ثم يطلق الكلب أو الكلاب في أثره كذلك فتطير الصقور حتى تكون فوق الصيد فتنقض عليه وترفرف بأجنحتها على عينيه ووجهه وتنشب مخالبها فيه فتعطل حركته حتى يدركه الكلب فيمسك به من رجله ويزيد في تعطيل حركته ويأتى الصياد و يأخذه . وكثيراً ما يستعمل الصياد بندقيته وخاصة في صيد الطيور، وقل أن يخطئ الصياد الهدف سواء أكان الطير حاطا أم طائرا ، وكثير من العرب يفضل صيد الطائر وهو طائر . ورياضة الصيد والقنص رياضة مفيدة تكسب العرب صحة وعافية وتروح عن نفوسهم وهم يعتقدون أنها تزيل الأمراض وتشفى العلل لركوبهم ومشيهم فى الهواء الطلق.



(شكل ١٤) الفرس العربية التي وردت من سوريا وأنجبت معظم خيول عائلة عجل

(شكل ١٥) إحدى بناتها « مندرينا » ويرى في الصورة بعد المسافة بينها وبين التي خلفها

لعب الجريد :

وهي تقام في الموالد والأفراح وفيها يقف الفرسان بعضهم في مواجهة بعض على بعد ماتي متر على الأقل وكلما زاد عدد الفرسان على خمسة في كل صف كلما كان ذلك أدعى إلى السرور ، ويقوم فارس من أحد الصفين جريا حتى يقابل زميله الآتى من الصف المقابل فيلمسه بعصاه (جريدته) أو رمحه ويعود بسرعهإلى صفه ، وزميله يطارده بدون أن يمكنه من أن يلمسه بعصاه وإلا عد مغلوبا : وقد يجرى الفارس وراء منافسه ويرميه بعصاه فإذا أصابه عد غالبا وإذا لم يصبه عد خاسرا . وأما إذا تمكن الفارس المطرود من التقاط العصا التي رمى بها وسددها إلى زميله فكأن الرامى الأول قد قتل

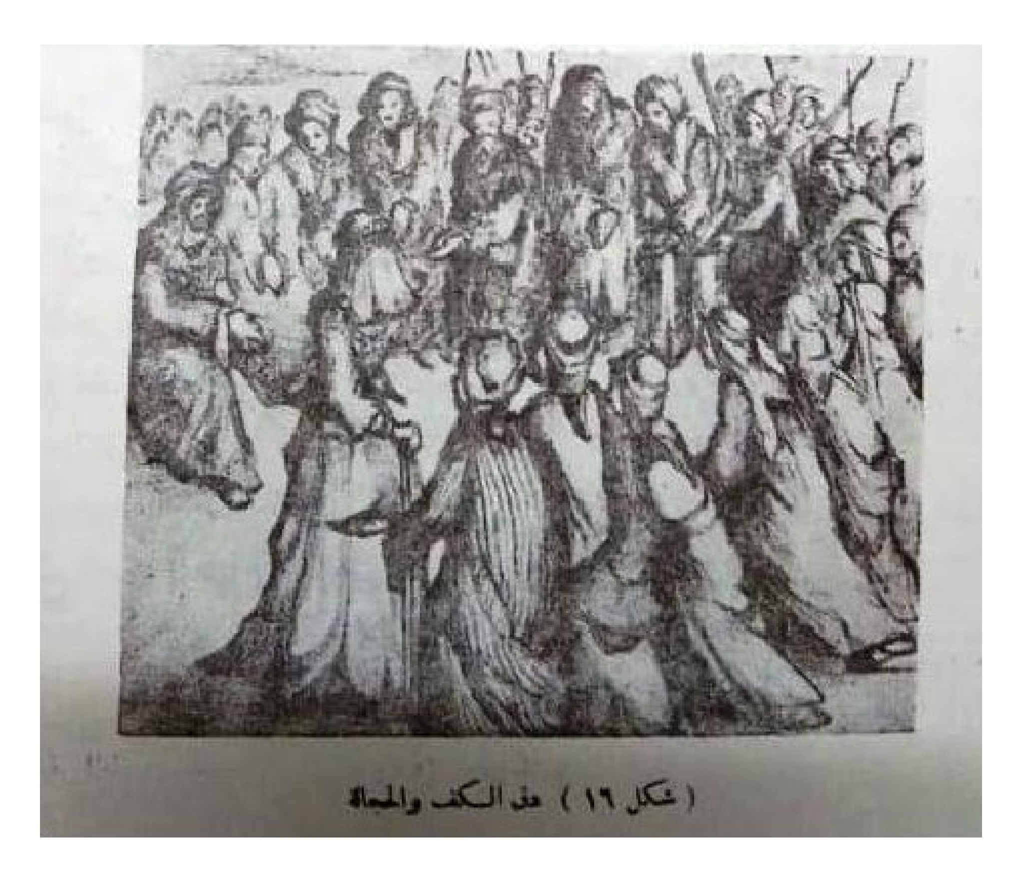
بسلاحه ، وكانت هذه اللعبة رياضة محببة طالما كان الحقد والعداوة بعيدين عنها فلما استغلت للانتقام ونتجت عنها أضرار ابتعد عنها العرب وأوقفتها الحكومة.

لعب البارود :

وهى تقام فى الأفراح أمام موكب العروس، وفيها يريح الفرسان أمام هذا الموكب مظهرين براعتهم في الفروسية ، وقد يقف الفارس على ظهر جواده وهو يجرى بأقصى سرعته ويطلق بندقيته . وقد يضطجع على جنب جواده بحيث تظهر ماسورة البندقية أمام صدر الحصان ثم يطلقها وهكذا.

دق الكف :

وهى تقام في الأفراح ، إذ يحتشد قبل يوم العرس بنحو الشهر كل مساء شبان البلدة والبلاد المجاورة لها ويقفون على شكل نصف دائرة ويصفقون مع مد أيديهم إلى الأمام وجذبها إلى الخلف بنظام واحد ويرتلون بعض الألفاظ بنغمة واحدة وترقص أمامهم امرأة أو بنت محجبة لا يظهر منها شيء حتى وجهها وتلبس (حراما) يلف بشكل خاص من وسطها وتحزم فوقه بشكل خاص أيضا وتمسك في يدها عصا أو سيفا أو بندقية، وتسير أمامهم وهى تحجل وترقص بهز جسمها متنقلة من طرف نصف الدائرة الأيمن إلى طرفها الأيسروبالعكس ومتقدمة ومتأخرة ويطلق عليها (الحجالة أو اببه) وكل ربع ساعة تقريبا يقف التصفيق والرقص



(شكل ١٦) عند السكف والحجالة

ويبدأ أحدهم بالقاء ثلث أغنية مترنما ورافعا صوته ثم يستمر التصفيق، وأخيراً يغنى الثلث الأخير ويعيد معه الثلثين السابقين، وعند الانتهاء منها يهلل الجميع وتطلق طلقات نارية كثيرة . وهذه الأغانى ذات معان مختلفة : فمنها ما يكون دائرا حول الغرام أو النجوى أو الشجاعة، ومنها ما يكون دائرا حول التغزل في (الحجالة) أو مدحها .

ولكل أغنية حداء خاص يتغنون به فى أثناء تصفيقهم، وقد يرتل أحدهم ما يسمى (المجرودة) وهى قصيدة طويلة دارجة في مدح الخيل أو الصقر أو الغزال أو الحجالة أو في الغرام . والويل لمن اقترب من الحجالة فسرعان ما تضربه على يده بالعصا أو السيف ، وقد يخرج من بين المصفقين رجل يلعب بالعصا أو السيف مع (الحجالة) محاولا لمسها وهي تحاول منعه ولمسه ، ويعتبر مغلوبا من لمس وينسحب من الميدان .

السيجة

وهي عبارة عن مربع مكون من خمس وعشرين عينا أو تسع وأربعين عينا ويلعبها اثنان لكل منهما اثنتا عشرة قطعة في الحالة الأولى وأربع وعشرون قطعة فى الحالة الثانية ، وذلك لترك العين الوسطى خالية ، وتتميز قطع أحدهما عن الآخر بأن تكون قطع الأول من الطين مثلا والثانى من الحجارة أو

الحصا ، ويبدأ أحد اللاعبين بوضع قطعتين بنظام خاص يرسمه في ذهنه ، ويليه الثانى بوضع قطعتين وهكذا بالتبادل حتى تملأ العيون كلها ماعدا الوسطى .
ثم يبدأ أحدهما بنقل القطعة المجاورة للعين الوسطى إليها ، ويتبعه زميله بحيث لو وقعت قطعة أحدهما بين قطعتين من قطع زميله (أكلها) أى رفعها وهكذا ، ومن رفعت قطعه قبل زميله عد مغلوبا .

وهذه القطع تسمى (الكلاب) وهذه اللعبة تشبه الشطرنج إلى حد بعيد ، ولها عند العرب فن يجيده بعضهم ، وقد يسافر أحدهم من بلد إلى آخر ليلاعب رجلا مشهورا بلعبها .

الحكشة أو الجدله :

وهى لعبة تشبه (الهوكى) تلعب بعصا معوجة من طرفها وكرة من الخرق ومجدول عليها بالحبال ، وهى في حجم كرة القدم، ويتكون كل فريق من حوالي العشرة على الأقل ، ويقفون متقابلين كل في مكان معين أمام زميله ، وتلعب على أرض واسعة محدودة المعالم ، ويبدأ اللعب من وسط الميدان ويمرر كل فرد الكرة إلى أعضاء فريقه ويحاول الآخرون أخذها منه ، ومن أوصل الكرة إلى نهاية الملعب في ناحية خصمه (إلى الرد) عد غالبا ، ومن قواعدها عدم رفع العصا إلى أعلى من الرأس وعدم توجيه الوجه إلى جوانب الملعب والظهر إلى داخله وعدم إخراج الكرة إلى خارج الملعب، والجزاء في هذه الأحوال إعطاء الخصم الكرة ليضربها فرد من أعضائه من مكان الخطأ ، وهى تلعب فى الليالي المقمرة من شبان أشداء .

العشرة والعشرين :

وهي تلعب على أرض منبسطة طولها ثلاثون خطوة واسعة، وتوضع عصا وعليها طاقية على بعد عشرخطوات من أحد طرفي الملعب ، ويقف أحد اللاعبين ومعه منديل كبير مجدول (طرة) في طرف المسافة الطويلة ويقف الثاني في طرف المسافة القصيرة ثم يلوح لهما الحكم الجرى وتكون مهمة من بدأ من المسافة القصيرة أن يخطف الطاقية ويعود إلى مكانه قبل أن يدركه الثانى لأنه إذا أدركه يستمر يضربه (بالطرة) حتى يصل به إلى مكانه.

أفراحهم :

وأفراحهم تخالف أفراح بقية المصريين ، وذلك أنه قبل يوم العرس بنحو الشهر يحتشد كل مساء شبان البلدة والبلاد المجاورة (ويدقون الكف الذى سبق شرحه) حتى إذا جاء يوم العرس أعد هودج على جمل تركب فيه العروس، ومعها بنتان أو ثلاث من أقرب قريباتها ، ويسير خلف هذا الجمل جمال تكثر أو تقل على حسب يسار أهل العروسين، وعلى كل جمل أربع أو ست نساء يغنين في أثناء سير الموكب نحو بيت العريس ، ويتبارى الفرسان في إظهار براعتهم فى ألعاب الفروسية والبارود كما سبق شرحه ، ويسير حول الموكب شبان ومعهم بنادقهم يطلقون منها طلقات نارية من حين لآخر ، وعندما يصل الموكب إلى منزل
العريس تناخ الجمال وينزل من عليها ، ويحمل العروس التى تكون محجبة أقرب الناس إليها كأخيها أو عالها ،وقد يحملها أحد عبيد أبيها ، وفى هذه الليلة تنحر الذبائح وتقام الولائم .
ومن عاداتهم القبيحة في الأفراح أنه إذا مر موكب عرس على بلد فيها عرب خرج هؤلاء لدعوة الموكب فإن كانوا لا يضمرون شرا اكتفوا بتقديم الدعوة والترحيب والتهنئة وتلقى الشكر وسار الموكب في سبيله مرحبا به من الداعين، وإن كانوا يضمرون شرا لثأر قديم أو للحط من قدر أهل العرس أو للنهب قدموا الدعوة وأصروا على قبولها وأصر أهل الفرح على رفضها لأنهم يرون فى ذلك أكبر عار فتنشب بين الفريقين معركة يكون غرض الداعين منها أن يستولوا على جمل العروس ومن فوقه، وغرض أهل العرس إحباط مسعاهم ، ولذا يختار جمل العروس من أشد الجمال شكيمة ومن أشرسها طبعا ، وعند نشوب المعركة ينزع مقوده
لكيلا يستطيع أحد الاقتراب منه إلا صاحبه، وقد حضرت مرة موكبا نشبت فيه معركة من هذا القبيل فهم فارس من أهل العروس وأردف العروس خلفه وجرى بأقصى سرعة حتى أوصلها إلى منزل العريس ،ولما علم الداعون بذلك أيقنوا ألا فائدة فكفوا عن الشجار وسار الموكب.
والشاب العربي ليست له الحرية في اختيار خطيبته ، ولكن يختارها له أبوه وأمه : كما أن البنت ليس لها من الأمر شيء فلا تسأل ولا يؤخذ رأيها، وإنما يخطر الشاب والبنت بعد انتهاء الاتفاق ، وتختار الخطيبة من بين أقارب الشاب ، وتفضل بنت العم كما يفضل ابن العم ، وفى بعض الأحيان النادرة يفهم الأب والأم ميل انهما فيختاران له من يحبها وبخاصة إذا كانت قريبته .

أحزانهم :

وكما أن العربي يغالى في أفراحه فهو يغالى كذلك في أحزانه وبخاصة إذا كان الميت شابا أو رجلا ؛ فتقام ليالى المأتم التى لاتقل عن ثلاث وتنتحر الذبائح ويأتي المعزون ، وتكون أمارات الحزن بادية على أهل الميت فيطق الرجال لحاهم ولا يهتمون بمظهرهم وملبسهم وهندامهم، وتقيم النسوة المنادب وهي عبارة عن حلقة من النسوة في وسطها أمرأة تنتدب وتلطم وهن يدرن حولها ويندبن ويلطمن الحدود، ويرددن عبارات تنم عن الحزن، ويستمر الحزن عاما كاملا لاتزين ، ولا تعطر ، ولا أفراح ، ولا مواسم ، ولا أعياد، وحتى الضحايا لا تنحر، وتلبس الملابس السوداء، وكانت عندهم عادة سيئة ضارة وهى عدم بياض النحاس مدة عام.

خاتمة :

و على كل حال فتحن ترى الآن أن تيار المدنية قد جرف كثيرا من عادات عرب الشرقية وتقاليدهم فاندمجوا في المصريين وتركوا عاداتهم القديمة وسكنوا القصور في المدن ، وأخذوا يعلمون أبناءهم وبناتهم ، ولما كان الامتياز الذي كان ممنوحا لهم قد ألغى في ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٧م فسوف ينعدم الفارق الوحيد بينهم وبين بقية المصريين ولن يبقى فى مصر محافظ على تقاليد العرب وعاداتهم سوى أولئك القوم الرحل الذين يسكنون أطراف مصر وواحاتها.

مصادر المقال :

أولا - والد كاتب المقال وهو رجل عربي مسن أدرك ثورة عرابي ، وكانت سنه حوالي الثانية عشرة كما أنه كثير الاهتمام بكل ماله اتصال بالعرب ويحفظ الكثير عنهم .

ثانيا - كتاب القبائل العربية في مصر لحضرة أحمد لطفى السيد أفندى بدار الكتب، وهو عربي استقى معلوماته عن مصادر كثيرة .

ثالثا - حضرة عبد العاطى أفندى خضر ، وهو شاب عربي أديب كتب مذكرات عن العرب ونشربعضها بمجلة السكة الحديد وبمجلة التليفون والتلغراف.

رابعا - خطاب من مصلحة التعداد عن تعداد العرب في سنة ١٩٣٧ م.

خامسا - حضرة الأستاذ أمين سلامة وهو شاب عربي ومدرس بالزقازيق الثانوية .
سادسا - بعض أفراد عائلة الطحاوية.
سابعا - الحاج محمد محمود أبو القاسم سلطان .
ثامنا - قام بتحقيق النقط التاريخية حضرة الأستاذ الحسيني منسى
تاسعا - معلومات وملاحظات كاتب المقال
عبد الباسط منضل جمعة
ناظر مدرسة أبو جاد الابتدائية الأسرية

المصدر
من كتاب الشرقية وسيناء بحث تنشره منطقة الزقازيق التعيمية (1368 هجرية -1949م) ص من 42 الى 60